**‏‏إشارات في نهاية عام فات**

**وضاح سيف سعيد الجبزي**

**الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا \* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:1-2]، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[الفرقان:61-62].**

**ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[الفرقان:3].**

**ونشهد أنّ محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ﴿شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً \* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[الأحزاب:45-46].. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يتباهىٰ بمَــدْحِ أحمدَ شِعرِي كلُّ حرفٍ أصُوغُه فيك شوقاً كيف لا سيِّدي وأنت كمالٌ في فمي ذِكْرُك السَّنيُّ كعِطرٍ ألفَ صلـى الإلهُ بل ألفَ ألفٍ** |  | **كتَباهِي الوجودِ بالإشْراقِ لك يجري إليك جَريِ السَّواقِي للسَّنا للجمالِ للأخلاقِ وصلاتي للقلبِ كالتِّرياقِ تتوالى إلى معاد التّلاقي** |

**فاللهم أرضِه صلاةً وتسليماً، وأوله تشريفاً وتكريماً، وزده محبةً وتعظيماً.**

**أما بعد:**

**فإنّ أصدق الحديث كتابُ الله، وأوثقَ العرى كلمةُ التقوى، وخيرَ الملل ملةُ إبراهيم -عليه السلام-، وأحسنَ السنن سنةُ محمد ﷺ، وخيرَ الأمور أوساطُها، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وما قلّ وكفى، خيرٌ مما كثُر وألهى، و ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[الأنعام:134].**

**واعلموا -رحمكم الله- أن خير العلم ما نفَع، وخيرَ الهدْي ما اتُّبِع، وخيرَ ما ألقي في القلب اليقين، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران: 101].**

**ألا وإنّ الكرامة كرامةُ التقوى، والعزّ عزُّ الإيمان، ورأسَ الحكمة مخافةُ الله، وأفضلَ الغنى غنى النفس، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الشورى: 36].**

**واعلموا -وفقني الله وإياكم لمرضاته- أن أقصَر الطُّرقِ إلى الجنة: سلامةُ القلب، ولا تتمُّ سلامةُ القلب إلا إذا سَلِمَ من شركٍ يناقض التوحيد، وبدعةٍ تخالِف السُّنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلةٍ تصدُّ عن الذِّكر، وهوى يصرِف عن الإخلاص والتجرُّد**([[1]](#footnote-1))**،﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[الجاثية:23].**

**أيها الناس، إن العبد لا يكتب في المسلمين حتى يسلم الناس من يده ولسانه**([[2]](#footnote-2))**، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جارُه بوائقه**([[3]](#footnote-3))**، و«لاَ يَبْلُغُ الْعَبدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأسَ بِهِ، حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأسٌ»**([[4]](#footnote-4))**.**

**ولا يكمل إيمان العبد بالله، حتى يكون فيه خمس خصال: التوكلُ على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والصبر على بلاء الله**([[5]](#footnote-5))**، وأنه «مَنْ أَحَبَّ لِلهِ، وَأَبْغَضَ لِلهِ، وَأَعْطَى لِلهِ، وَمَنَعَ لِلهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»**([[6]](#footnote-6))**.**

**عباد الله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إنّ لله عبادًا فُطَنا نظروا فيها فلمّا عَلِموا جعلوها لجّةً واتّخذوا** |  | **طلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنا أنَّها ليست لحيٍّ وطَنا صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا** |

**أيها الناس، إن لكم معالمَ فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم، وإن المؤمن بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى، لا يدري ما اللهُ صانعٌ فيه، وبين أجلٍ قد بقي، لا يدري ما اللهُ تعالى قاضٍ عليه فيه، فليأخذِ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرتهِ، ومن الشبيبةِ قبل الكِبَر، ومن الحياة قبل الموت، فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار، إلا الجنة أو النار**([[7]](#footnote-7))**، ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:185].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أبَني أبِينَا نحن أهلُ منازِلٍ نبكي على الدّنيا وما مِن معشرٍ أين الأكاسرةُ الجبابرةُ الأُلى مِن كلِّ مَن ضاق الفضاءُ بجيشِهِ خُرْسٌ إذا نُودُوا كأنْ لم يعلموا فالموتُ أتٍ والنفوسُ نفائسٌ** |  | **أبدًا غُرابُ البَينِ فينا يَنعِقُ جمَعَتْهم الدّنيا فلم يتفرَّقوا كَنزوا الكنوزَ فما بقَينَ ولا بَقُوا حتى ثوى فَحَواهُ لحدٌ ضيِّقُ أنّ الكلام لهم حلالٌ مُطلقُ والمستِغرُّ بما لديه الأحمقُ** |

**يعضّك -يا ابن آدم- الدّهرُ بلِهزمتيه عضّا، وتقرض عمرك الأيام قرضًا، وأمَلُك يمتدُّ طولًا وأجلُك يأتيك عرْضًا، وأنت تركُض في الدنيا ركضًا، فلا بقليل تقنع ولا بكثير ترضى، وإن فاتك الشيء سخِطتَ القضاء، وأسأت فعلًا ولفظًا، وإن نلتَ ما ترجو ظننت أنك أرجحُ الناس عقلاً، وأسعدُهم حظّا، وأسدُّهم رأياً، وأثبتُهم عزيمةً وأمضى، لا شك أنّ كثيرًا من العقول لمرضى، لا تسمع وعظاً، ولا بقبول نصح تحظى، ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ \* إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ \* وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ \* فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:136-139].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يَجدُّ بِنا صَرفُ الزّمانِ ونَهزِلُ وما النّاسُ إلا ظاعِنٌ أو مُودِّعٌ وما هذه الأيّام إلا منازلٌ فناءٌ مُلحٌّ ما يُغِبُّ جميعَنا وكم صاحبٍ لي كنت أكره فقدَهُ** |  | **ونُوقَظُ بالأحداثِ فيه ونغفُلُ ومُستلَبٌ مُستعجَلٌ أو مؤجَّلُ إذا ما قطَعنا منزلاً بان منزلُ إذا عاش منّا آخِرٌ مات أوّلُ تَسلّمَهُ منّي الفَناءُ المعجَّلُ** |

**أيها الناس، إنكم تغدون وتروحون إلى أجل قد غُيِّب عنكم علمُه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا،** **ولن تستطيعوا ذلك إلّا بالله، فسابقوا في مَهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوماً نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإيّاكم أن تكونوا أمثالهم**([[8]](#footnote-8))**.**

**﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الحشر:19].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فيا للمنايا ما لها من إقالةٍ ستُسلِمُك الساعاتُ في بعض أمرِها** |  | **إذا بلغَت مِن مُدَّة الحيِّ حدَّها إلى ساعةٍ لا ساعةٌ لك بعدها** |

**أيها الناس، إن مع الحياة موتًا، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثوابًا، ولكل سيئة عقابًا، ولكل أجل كتابًا، وإنما تعرفون عواقب أعمالكم، إذا طويت صحائف آجالكم**([[9]](#footnote-9))**.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وما المرءُ إلا راكبٌ ظهر عمرِه يبيت ويضحى كل يوم وليلةٍ** |  | **على سفرٍ يطويه باليوم والشهرِ بعيدًا عن الدنيا قريبًا من القبرِ** |

**عباد الله، الدنيا نِعم، في طيِّها نِقم، شبابٌ يعقُبه هرم، وصحةٌ يتبعُها سقَم، ولذَّةٌ آخرُها ندم، وحياة نهايتُها عدَم، حتفٌ موصوب، وموردٌ مكتوب.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ألا يا موتُ لم أرَ منك بُدًّا كأنَّك قد هجمتَ على مشيبي** |  | **أتيتَ وما تحيفُ وما تُحابِي كما هجَمَ المشيبُ على شبابي** |

**ألا وإن أفضل الناس عبد أخذ من الدنيا الكفاف، وصاحب فيها العفاف، وتزود للرحيل، وتأهب للمسير.**

**وإن أعقل الناس عبد عرف ربه فأطاعه، وعرف عدوه فعصاه، وعرف دار إقامته فأصلحها، وعلم سرعة رحلته فتزود لها.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **شمِّر عسى أن ينفعَ التشميرُ** |  | **وانظُر بفكرِك ما إليه تصيرُ** |

**يا غافلُ يا ذاهِل، أما رأيتَ من العِبرة ما يشفي؟! أما سمِعت من العِظَة ما يكفِي؟!**

**﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[فاطر:5]، ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[غافر:39].**

**يقول ﷺ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»**([[10]](#footnote-10))

**فيا عباد الله، يا أيها المسلمون، يا أيها المنيبون، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج:77]، ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الحديد:21].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تَخيَّر قَرينًا من فعالِك إنّما وإن كنتَ مشغولًا بشيء فلا تكن فلن يصحب الإنسانَ من بعد موتِهِ ألا إنّما الإنسانُ ضيفٌ لأهلهِ** |  | **قَرينُ الفتى في القبر ما كان يفعَلُ بغير الذي يرضى به الله تُشغلُ إلى قبره إلّا الذي كان يعمَلُ يقيم قليلًا بينهم ثم يرحلُ** |

**روى ابن أبي الدنيا، أنه قيل لنوح -عليه السلام-: يا أطول النبيين عمراً، كيف وجدت الدنيا ولذتها؟ قال: كرجل دخل بيتاً، له بابان، فقام في وسط البيت هنيّة، ثم خرج من الباب الآخر**([[11]](#footnote-11))**.**

**وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: ما شبّهتُ الشباب إلا بشيء كان في كُمّي فسقَط**([[12]](#footnote-12))**.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بكيتُ على الشَّباب بِدَمعِ عيني عَرِيتُ مِن الشّباب وكان غَضًّا فيا ليت الشّبابَ يعودُ يومًا** |  | **فلم يُغنِ البكاءُ ولا النّحيبُ كما يَعرى مِن الورَق القَضيبُ فأُخبِرَهُ بما صنَع المشيبُ** |

**﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[الروم:54]، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[فاطر:37].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بكيتَ فما تبكي شبابَ صباكا ألم تر أنّ الشيب قد قام ناعيًا** |  | **كفاك نذيرُ الشيب فيك كفاكا مكانَ الشّباب الغضِّ ثم نعاكا** |

**فيا أيها الناس، توبوا قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم إياه تَسعدوا، وأكثروا من الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تُحَصَّنوا، وانهوا عن المنكر تُنصروا، واعلموا أن أكيسكم أكثرُكم للموت ذكرًا، وأحزمَكم أحسنُكم له استعدادًا، ألا وإنّ من علامات العقل: التجافيَ عن دار الغرور، والإنابةَ إلى دار الخلود، والتزودَ لسكنى القبور، والتأهبَ ليوم النشور**([[13]](#footnote-13))**.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **انظُر لنفسِك يا أخي والموتُ غايةُ مَن مضى** |  | **حتى متى لا تتقِي منا وموعدُ من بقِي** |

**يقول ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ -الموت-»**([[14]](#footnote-14)) **.**

**وهذا كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة؛ فإنّ مَن ذكَر الموت حقيقةَ ذِكره؛ نغّص عليه لذّته الحاضرة، ومنعه من تمنيها في المستقبل، وزهّده فيما كان منها يؤمّل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويقِ الألفاظ، وإلا ففي قوله ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ»، مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[آل عمران:185]، ما يكفي السَّامع، ويشغَلُ النَّاظر**([[15]](#footnote-15))**.**

**عباد الله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إِلى كم ذا التّراخي والتمّادِي فلو كُنّا جمادًا لاتَّعظْنَا تُنادينا المنيَّةُ كلَّ وقتٍ وأنفاسُ النفوسِ إلى انتقاصٍ إذا ما الزرعُ قارَنَه اصْفِرَارٌ** |  | **وحادي الموت بِالأرواح حادِي؟! فهل صرنا أشدَّ مِن الجمادِ؟! وما نُصْغي إلى قول المنادي  ولكنّ الذنوبَ إلى ازدِيادِ فليس دَواؤُهُ غيرَ الحصَادِ** |

**معاشر الأحبة، ألا وإن أحسن ما نُظِم ونُثر، وأتقن ما وُعظ به وزُجر، كلامُ مَن تَوجَلُ القلوبُ لِذِكرِه إذا ذُكر، أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)﴾.**

**بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما جاء فيه من الآيات والذِّكر الحكيم، وهداني وإياكم صراطه المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم، ولسائر المسلمين، من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه، إنه كان غفّارا.**

**الخطبة الثانية**

**الحمد لله المنفرد بالدّوام، الباقي بعد فناء الأيام، الموجد للخلق بعد العدم، المفني لهم بعد أن ثبتت أعمالُهم في الصحف كما جرى بها القلم، العالم بما انطوت عليه أسرارُهم في الحال وفي القِدَم.**

**وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة عبدٍ مضطرٍ إليها عند زلّة القدم.**

**وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، أرسله إلى أكرم الأُمم، صلّ اللهم عليه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، يا ذا الجود والكرم.**

**ألا فاتقوا الله -رعاكم الله-، واعلموا أن الهوى خدعة الألباب، ومضَلَّة الصواب، والعداوة تصدُّ عن النصح والإنصاف، وتُوقِع في المين والإجحاف،** و**الزلَّةُ غلّ، والخطيئةُ ذُلّ، ورُبَّ عظمٍ هِيضَ فلم ينجبِر، فإن جُبِر فعلى وهاء، فتيقَّظوا وتنبَّهوا، واجعلوا التقوى عُدَّةً لكم عند كل مُشتَهى، واستوثِقوا من لجم النفس الجموح، وامحوا العثْرَة بالعَبْرة، والهفوَة بالصحوة، والإساءة بالإحسان، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[الأعراف:201].**

**فاتقوا الله -عباد الله-، فما خُلِق امرؤ عبثًا فيلهو، ولا أُهمل سدى فيلغو، وما دنياه التي تحسّنت إليه بخلَف من الآخرة التي قبّحها سوءُ النظر عليه، وما الخسيس الذي ظفر به من الدنيا بأعلى همّته، كالآخر الذي ذهب من الآخرة من سُهمته.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تفنى اللَّذاذةُ ممن نال صفوَتَها تبقى عواقبُ سوءٍ مِن مغبَّتِها** |  | **مِن الحرام ويبقى الإثمُ والعارُ لا خيرَ في لذَّةٍ مِن بعدها النَّارُ** |

**وقف قوم على عالم فقالوا: إنا سائلوك، أفمجيبنا أنت؟! قال: سلوا ولا تكثروا، فإن النهار لن يرجع، والعمرَ لن يعود، والطالبَ حثيث في طلبه، قالوا: فأوصنا، قال: تزودوا على قدر سفركم؛ فإن خير الزاد ما أبلغ البغية، ثم قال: الأيام صحائف الأعمار، فخلدوها أحسن الأعمال، فإن الفرص تمر مرّ السحاب، والتوانيَ من أخلاق الكسالى والخوالف، ومن استوطن مركب العجز عثر به، وتزوج التواني بالكسل فولد بينهما الخسران**([[16]](#footnote-16))**.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تَزوَّجتِ البطالةُ بالتَّواني**  **فأمّا الابنُ سمَّوه بِفقرٍ** |  | **فأَولدَها غُلامًا مَعْ غُلامَهْ وأمّا البنتُ سمَّوها ندامَهْ** |

**ألا فاتقوا الله -عباد الله-، ولا تكونوا كأصحاب نفوسٍ قسَت قلوبُها، وغلُظَت أكبادُها، وعظُم عن آيات الله حِجابُها، فلا تعتبِر ولا تدَّكِر؛ فإن أقوامًا جاءتهم آياتُ ربِّهم فكانوا منها يضحكون، وأراهم ربُّهم آياتٍ كلُّ آيةٍ أكبرُ من أختها فكانوا عنها مُعرضين، ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:101]، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[محمد:18]، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون:11].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **الأمر جدٌّ وهو غيرُ مِزَاحِ كيف البقاء مع اختلاف طبائعٍ تجري بنا الدنيا على خطرٍ كما تجري بنا في لُجّ بحرٍ مالهُ** |  | **فاعملْ لنفسك صالحًا يا صاحِ وكرور ليلٍ دائمٍ وصباحِ؟! تجري عليه سفينةُ المَلاحِ من ساحلٍ أبدًا ولا ضحضاحِ** |

**فطوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق مالًا اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن زكت نفسه، وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم تستهوه البدعة.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فطوبى له والشوق يبعث همّه** |  | **وزندُ الأسى يهتاج في القلب مشعلا** |

**ألا فاتقوا الله -عباد الله-، فما أسعد من جعل التقوى رأسَ مالِه! وما أرشدَ مَن راقب الله في جميع أحوالِه! ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[الطلاق:5].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فاقضوا مآربكم عجالا إنَّما وتراكضوا خيل الشبابِ وبادرُوا** |  | **أعمارُكم سفر من الأسفارِ أن تُستردَ فإنهنَّ عوارِ** |

**﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ \* فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ \* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا \* وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[الانشقاق:6-9].**

**هذا وصلُّوا وسلِّموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبيِّكم محمد رسول الله، فقد أمرَكم بذلك ربُّكم فقال في محكم تنزيله، وهو الصادق في قيله، قال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.**

**اللهمّ إنا نحمدك على حسن البلاء، ونشكر لك على ما أوليت من النّعماء، ونرجو منك توفيقا يقرّبنا من مراضيك، وتسديدًا يقف بنا على حدود أوامرك ونواهيك، ونسألك العصمة من الأهواء المردية، والغبطة بالآراء المنجية، وأن تمدّنا من فضلك العميم، وبرّك الجسيم، وأن تجعل ما وقفتنا عليه من الأخبار، وأريتنا من الآيات ممّن تقدّمنا والآثار، عبرة ننتفع بنظرنا فيها، وموعظة تزجرنا عن موبق الأعمال ومرديها.**

**اللهمّ وصلّ على نبيّك المختار، وعلى آله وأصحابه الأبرار، صلاة ترفع بها مقامه، وتعلي بها مكانه، وعمّنا بشفاعته، واحشرنا تحت لوائه بطاعته، إنك جواد مجيد، فعّال لما تشاء وتريد.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **نسألك اللهم توفيقًا إلى محمد شفيعنا في الحشر** |  | **سنة من بعثته إلى الملا صلى عليه الله طول الدهرِ** |

1. () ينظر: تاريخ بغداد للخطيب (11/106). [↑](#footnote-ref-1)
2. () رواه البخاري (6484)، بلفظ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»، ومسلم (64)، بلفظ: «أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». [↑](#footnote-ref-2)
3. () ينظر: مسند أحمد (3672)، الجامع لمعمر بن راشد (١٩٧٤٧)، الزهد لابن المبارك (٧٠٢)، مسند البزار (9362)، شعب الإيمان للبيهقي (5136)، صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٨١٩). [↑](#footnote-ref-3)
4. () أخرجه الترمذي (٢٤٥١)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٢١٥)، والطبراني في الكبير (٤٤٦)، والحاكم في المستدرك (٧٨٩٩)، بلفظ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ»، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-4)
5. () ينظر: الأربعون الودعانية لابن ودعان (10)، تاريخ بغداد للخطيب (11/106). [↑](#footnote-ref-5)
6. () رواه أبو داود (4681)، وأحمد (15638)، وابن أبي شيبة (٣٤٧٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٥). [↑](#footnote-ref-6)
7. () الأربعون الودعانية (10)، شعب الإيمان للبيهقي (١٠٥٨١)، وينظر: البيان والتبيين للجاحظ (1/249). [↑](#footnote-ref-7)
8. () تاريخ الطبري (3/224). [↑](#footnote-ref-8)
9. () ينظر: الأربعون البلدانية لمسافر حاجي (1/53). [↑](#footnote-ref-9)
10. () رواه مسلم (٢٨٥٨)، وأحمد (18009)، والترمذي (٢٣٢٣)، والنسائي في الكبرى (11797). [↑](#footnote-ref-10)
11. () الزهد لابن أبي الدنيا (1/165). [↑](#footnote-ref-11)
12. () البصائر والذخائر للتوحيدي (9/189). [↑](#footnote-ref-12)
13. () المنازل والديار، أسامة بن منقذ (1/63). [↑](#footnote-ref-13)
14. () أخرجه أحمد (٧٩٢٥)، والترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن حبان (٢٩٩٢)، والحاكم (٧٩٠٩)، وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢١٠). [↑](#footnote-ref-14)
15. () ينظر: العاقبة في ذكر الموت، عبد الحق الإشبيلي (1/38)، التذكرة للقرطبي (1/122). [↑](#footnote-ref-15)
16. () ينظر: عيون الأخبار لابن قتيبة (2/397)، المدهش لابن الجوزي (1/369). [↑](#footnote-ref-16)